السبي الأخير

ابراهيم الزيدي

مشهد من الذاكرة:

قلتُ: نفسي، حينَها أيقنتُ أنّي..

واضمحلّتْ لغةُ الجمعِ، تلاشتْ، غادرتْني الخيلُ، مذهولاً فداهمني الوداع.

ها أنا مُذْ أدبَرَتْ فيَّ البلادُ، وسلّمتْ مفتاحَ أُغنيتي، وحيداً.

قطّعتْ أوصالَ ذاكرتي؛ وغامتْ رؤيتي الأولى، لِما سوف يكون

وامّحتْ كلُّ الوقائعِ مرةً أُخرى؛ وعدتُ

كنتُ أدرى بالذي قد كان منّي؛ لجمَ الصمتُ فمي!!

مقام الوجد:

يرتديني الشيخُ مبهوراً، ويكسرني على الشطآنِ موجٌ حالفَ البحرَ

وخلاّني أشرِّدُ كلَّ قافلتي، بوجهِ الريحِ؛ أتكلُ أوّلَ السطرِ

ابتداءَ اللّثغِ، مشفوعاً بعفوِ السيّدِ السلطانِ عن لغتي المطيرةِ

بين أفخاذِ الغواني!!

ينحني مضمارُ أشواقي، ويلتفُّ عليَّ

كُلّني أصبحتُ منسيّاً، ومكتوباً

على الجدرانِ «يافطةً»؛ لتأكلني العيونُ الموبقاتُ

وظلَّ يعبرُني انتمائي، دونَ معرفةٍ!!

وينساني المطرْ.

القناع:

قلت: الآن تعرفُني، وأعرفُ ظِلَّكَ المنسيَّ في بيتي

ونعرفُ أننا كنّا على أملٍ يسُلُّ الريحَ من أُفُقٍ تلظّى بين نائحتينِ

نعبرُ ضفّةً أخرى؛ وأحلاماً تُكابِرُ فوق حاضِرِنا؛ فننسى أنّنا كنّا!! ونجلسُ خلفَ مائدةِ القرارِ الصّعبِ؛ نكتبُ

صيغةً أخرى؛ تناسِبُ وجهكَ الثّاني

ونشربُ نخبكَ الأوّلَ!

وقلت: سينقضي/لا بدَّ.

أو يأتي، ويعبرُ صمتُهُ لغتي؛ ويخلعُ دُرْفَةً أخرى!!

وضلعاً آخر يرمي؛ ويصلُبني على حلمٍ نهاريٍّ

تسمّر بينَ مرحلتينِ

وقلتُ اسمي/فأنكرني!!

وطشَّ ضبابَهُ بيني وبينَ ملامحي/

فاشتقْتُ ثانيةً إليَّ!!

البوابة:

سنطلعُ/

منْ أوّلِ الحلمِ، قلتُ.

كيما نُدوِّنُ في أوّلِ السّطرِ، ضحايا

ونخرجُ مِنْ سجنِ أضلاعِنا

لنحمي القلاعَ التي أنكرتنا!!

ونعزفُ لحنَ البلادِ التي شرّدتْنا!!

ونشرقُ في الدّمعِ شرقاً، وغرباً

ونكتبُ: أنّا نسينا الحكايةَ؛ في أوّلِ الدربِ/

ثم التقينا!!

وقلنا: سنطلعُ من أوّلِ البعدِ

سوفَ نحدِّدُ كلَّ الحدودِ..

وسوفَ نجدِّدُ طعمَ السّفَرْ

وَحينَ نقرِّبُ كلَّ بعيدٍ، سنرمي النّشيدَ القديمَ حجَرْ.

ولمّا افترقْنا:

نسينا الوداعَ!!

وفي البحرِ كنّا نسينا الشّراعَ!!

ولم يبْقَ منّا على الماءِ إلاّ الصُّوَرْ.

الرقّة - سوريا